

- ٥ - الكتابة العربية -

لا يخفى ان العرب كانوا قومًا أميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة فكانوا يتناقلون اخبارهم واشعارهم حفظًا على ظهور القاب ولم يعرف شيًا كتب عندهم قبل المعلقات ولذلك ذهب من شعرهم شيء كثير ولم يحفظ منه الا ما كان في اواخر عهد الجاهلية وهو ما قيده علماء الاسلام في الدواوين والدفاتر واقدمه لا يتجاوز مئة سنة قبل الهجرة . ولعل اول قصيدة كتبت وعلقت كانت معلقة امرئ القيس لانه سبق اصحاب المعلقات عهداً وكانت وفاته سنة ٥٣٩ للميلاد الا انه لا ينبغي ان يؤخذ من هذا ان الكتابة لم توجد عند العرب الا من ذلك العهد بل لا بد انها كانت قبل ذلك بزمان الا ان تاريخها مجهول ويقال ان في رومية اليوم كتابة من عهد طراجان في اوائل القرن الثاني للميلاد فيها ذكر ناسخ بالخط العربي وكان اول خط عرف عند العرب الكتابة المعروفة بالمُسند الحميري وهي كتابة اهل اليمن لتقدمهم في الحضارة على سائر العرب الا انها كانت محصورة فيهم لا يعلمونها احداً ولذلك لم تكن معروفة عند سائر القبائل حتى نشأت الكتابة المعروفة بالجزم وهي التي خطت بها المعلقات وكتب بها القرآن والحديث وسائر الكتب الاسلامية لذلك العهد . واما وازع هذه الكتابة فقد اختلفت الروايات فيه قال السيوطي في الزهر والمشهور عند اهل العلم ما رواه ابن السكبي عن عوانة قال اول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وزاد غيره عامر بن جذرة ذكر

هذا الاخير صاحب القاموس في (ج د ر) قال وعامر بن جذرة محرّكة
 اول من كتب بخطنا قال المرتضى في تاج العروس قال شيخنا وسيأتي له في
 (م ر ر) ان اول من كتب بالعربية مرامر وجزم به جماعة وتوقف جماعة
 هل هو خلاف او يمكن التوفيق . قال وهذه الاولى فيها خلاف طويل
 الذيل اورده ابن عساكر وغيره . قال صاحب التاج وهذه العبارة مأخوذة
 من الجمهرة لابن دريد قال فيها اول من كتب بخطنا هذا عامر بن جذرة
 ومرامر بن مرة الطائيان ثم سعد بن سبل غير ان المصنف اي صاحب
 القاموس فرق فذكر كل واحد فيما يناسب ذكره في محله . اه . وقال
 صاحب القاموس في (م ر ر) ومرامر بن مرة بضمهما اول من وضع الخط
 العربي . قال المرتضى قال شرقي بن القطامي اول من وضع خطنا هذا
 رجال من طي منهم مرامر بن مرة قال الشاعر

تعلمت باجاء آل مرامر وسودت اثوابي ولست بكاتب

قال وانما قال آل مرامر لانه كان قد سمى كل واحد من اولاده بكلمة
 من ابجد وهم ثمانية . قال ابن بري الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن
 المدائني انه مرامر بن مروة قال المدائني اول من كتب بالعربية مرامر بن
 مروة من اهل الأنبار ويقال من اهل الحيرة ويقال انه سئل المهاجرون
 من اين تعلمتم الخط فقالوا من الحيرة وسئل اهل الحيرة من اين تعلمتم
 الخط فقالوا من الأنبار . اه . ولم يذكر احد من اولئك اسلم بن سدره
 لكن جاء في تاريخ ابن خلّكان في ترجمة ابن البواب مانعه وروى ابن
 الكلبي والهيثم بن عدي ان الناقل لهذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز هو

حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي وكان قدم الحيرة فعاد الى مكة بهذه الكتابة . وقال قيل لابن سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدره وقال سألت اسلم ممن اخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة . اه . وقال الشيخ ابو النصر الهوريني بعد ما ذكر اولئك الثلاثة انهم تعلموه اي الخط من كاتب الوحي لسيدنا هود عليه السلام ثم علموه اهل الأنبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق فتعلمها بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان له صحبة بحرب بن أمية من قريش لتجارته عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة ثم سافر معه بشر الى مكة فتعلم منه جماعة من اهل مكة فبهذا كثر من يكتب بمكة من قريش قبيل الاسلام ولذلك قال رجل كندي من اهل دومة الجندل يمن على قريش بذلك

لا تجحدوا نعماء بشر عليكم	فقد كان ميمون النقية ازهرا
اتاكم بخط الجزم حتى حفظتم	من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فاجريتم الاقلام عودا وبداة	وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
واغنيتم عن مسند الحي حميرا	وما كتبت في الصحف اقلام حميرا

اه بتصرف قليل . والجزم قال في القاموس هذا الخط المؤلف من حروف المعجم لانه جزم اي قطع عن خط حمير . وقال البطليوسي في شرحه على ادب الكاتب ان الجزم كان اسما للخط الكوفي قبل وجود الكوفة لكونه جزم اي اقتطع ووُلد من المسند الحميري . اه . وفي رأي بعض المحققين من علماء الافرنج ان الخط الكوفي اخذ عن الكتابة السريانية

بأدلةٍ منها المشابهة بينه وبين الحرف السرياني ومنها ترتيب الحروف العربية على حروف ابجد وهو الترتيب السرياني والعبراني ومنها ان مرامر بن مرة كان من اهل الانبار او من اهل الحيرة وهما من مواطن النساطرة من السريان . وزاد بعضهم على ذلك لفظ مرامر قال فان شطره الاول الذي هو مـ يشبه ان يكون سريانياً ومعناه سيدي قال وهو من الالفاظ التي كانت تطلق على القسوس اه . وعلى هذا يمكن ان يكون اصله مورامورو اي سيدي المعلم ثم عـرُب . وذهب قومٌ منهم الى ان السرياني هو اصل المسند لانه اقرب شهاً به من الكوفي فيكون الكوفي منقولاً عن المسند والمسند منقولاً عن السرياني . وقيل المسند منقولٌ عن الخط الفينيقي اخذوه عن الفينيقيين حين هاجروا الى نواحي البلاد العربية فنزلوا بشواطئ البحر الاحمر ولهم على ذلك ادلةٌ نضرب عن ذكرها حب الاختصار

على ان الكتابة كانت قبل الاسلام شائعةً ولا بدّ بين اليهود والنصارى ولا سيما الكهنة والقسوس منهم لاقامة الصلوات والعبادات وتلاوة الاقوال الكتابية لكن لا يُعلم باي صورةٍ كانت لان العرب كانت فيهم كثيرٌ من اليهود والسريان والحميريين والحبشة وكان كل فريق من هؤلاء يكتب بحروف لسانه فلا يبعد ان يكون العرب كانوا يستخدمون كتابة اقوامٍ منهم . ويقال ان ورقة بن نوفل وهو اشر كُتّبة العرب لزمان الرسول كان يزاول كتابة العربية بالحرف العبري ولا ينافي هذا ما جاء عنه في الاغانى حيث قال وكان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربية من الانجيل ما شاء ان يكتب فان العبرة باللفظ لا بصورة الحرف . وشاعت

بعد ذلك حروف الجزم فلبث العرب يكتبون بها ما يزيد على ثلاث مئة سنة وبها كانت تُضرب السكة لاوائل عهد الدول الاسلامية الى ان جاء ابن مقلة فكان اول من نقل الخط الكوفي الى الصورة المتعارفة اليوم فأعجب الناس بخطه واستحسنوه وبعد ظهوره أهملت الكتابة الكوفية وصار الناس يكتبون بقاعدة ابن مقلة . قال ابن خلكان ولما شاهد ابو عبيد البكري الاندلسي صاحب التصانيف خط ابن مقلة انشد

خطُ ابن مقلة من ارعاهُ مقلتهُ ودَّت جوارحه لو اصبحت مقلًا

ثم جاء بعده ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب البغدادي فهذب طريقته وتقحها وكساها طلاوة وبهجة وفي خزنة الازهر اليوم مجلد من خط ابن هلال من اصل الكتب التي وقفها ورثة المرحوم سليمان باشا اياضه على مكتبة الجامع المشار اليه وخطه قلما يفرق عن الخط النسخي المتعارف ليومنا هذا

وكانت الكتابة في اول الامر عارية عن الشكل فلما سرى الفساد الى السنة العرب بمخالطة الاعاجم وضع ابو الاسود الدؤلي انواع الشكل فقال للكاتب الذي كان يملئ عليه اذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقة وان ضمنت في فانقط بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت ذكر ذلك ابن خلكان في ترجمة ابي الاسود وزاد غيره فان أتبت ذلك شيئاً من الغنة يعني التنوين فاجعل مكان النقطة نقطتين . وفي ابن خلكان في ترجمة الحجاج حكي ابو احمد العسكري في كتاب التصحيف ان الناس عبروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله

عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال أن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وازواجاً وخالف بين أماكنها فعبّر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف فحدثوا الأعجام فكانوا يتبعون النقط الأعجام فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعتري التصحيف فالتسوا حيلة فلم يقدرُوا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين . انتهى . وفي هذا الكلام إيهام لا يخفى فإن المفهوم في الاصطلاح أن الأعجام هو النقط لقولهم الدال المهملة مثلاً لما لا نقط عليها والدال المعجمة للمنقوطة وكذا السين المهملة والشين المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة وهلمّ جرّاً . لكن جاء في المصباح أعجمت الحرف أزلت عجمته بما يميزه عن غيره بنقطٍ وشكل فتبين من هذا أن الأعجام يتناول الشكل أيضاً وهو مقصود العسكري . على أنه قد مرّ بك من اصطلاح أبي الأسود أنه رمز إلى حركات الحروف بالنقط فلعل نصر بن عاصم لما ميز الحروف بالنقط ميز الحركات بعلاماتها المعروفة اليوم لئلا تلبس علامة الحرف بعلامة الحركة فجعل علامة الضم واواً صغيرة وعلامة الفتح ألفاً كذلك عرضها فوق الحرف وعلامة الكسر نفس علامة الفتح اكتفى بوضعها تحت الحرف فدل بمكانها على لفظها . والظاهر أنه تناول هذا الاصطلاح عن السريانية فإنه يدلّ فيها على الحركات بما يوافقها من الحروف اليونانية ثم مضى على هذا الاصطلاح في سائر العلامات فدلّ

على التشديد بسين مقطوعة يوحى بها الى الشين من شدة الى همزة القطع
بعين مقطوعة والى علامة الوصل بصاد والى علامة المد بألف معروضة مثل
علامة الفتح الا انها اكبر منها . وهناك علامات اخر اصطالحوا عليها
للدلالة على الامالة والنقل والاشمام وغير ذلك من المصطلحات الخاصة
بالقرآء على نحو ما فعله اليهود في الاسفار العبرية

بقي هنا التنبيه الى اختلاف يسير تجده بين مصطلح المشاركة والمغاربة
منه في النقط وهو ان المشاركة ينقطون الفاء بنقطة من فوق والقاف
بنقطتين والمغاربة ينقطون الناء بنقطة من تحت والقاف بنقطة من فوق
ومنه في الشكل وهو انه اذا كان الحرف المشدد مضموماً او مفتوحاً
فالمشاركة يضعون علامة التشديد بين الحرف والحركة والمغاربة يضعون
الحركة بين الحرف وعلامة التشديد . ولا يخفى ان هذا الاصطلاح الثاني
غير سديد لان الحركة انما هي للحرف المكرر المعبر عنه بعلامة التشديد
فحقها ان تكون فوق الشدة لتنزل من التشديد منزلتها من الحرف نفسه
كما هو ظاهر والله اعلم

﴿ أَكَلَتِ اللَّحُومَ الْبَشَرِيَّةَ ﴾

اذا قابلنا طبيعة الانسان بطبيعة سائر الحيوان وجدنا عنده من
الاطوار الوحشية ما لا يُقدّم عليه كثير من الحيوان فانه منذ قام الانسان
الى هذا اليوم لم ترح الارض تتلطح بدماء افراده ظلاماً وعدواناً وأشلاء
قتلاه تتمزق بين سلاحه وانياب الضواري وما زال بعضه يعدو على بعض